النّسق برؤية نظريّة

أ(ة).سميرة بوقرة
جامعة باجي مختار– عنّابة – الجزائر

ملخّـص:

تجاوزت معظم الدّراسات الحديثة القراءة الأفقيّة المعياريّة السّياقيّة إلى أخرى أكثر انفتاحا وحركيّة؛ إنّها القراءة العموديّة النّسقيّة المشحونة بتساؤلات لا تنفك ألغازها إلاّ من خلال الكشف عمّا تضمره الأنساق على اختلافها.

تتمتّع الأنساق بأهميّة كبيرة جعلت منها عناصر مركزيّة فاعلة وحركيّة في عمليّة التّواصل الفكريّ، إذ لها قدرة رهيبة على صياغة الأفكار وتمرير القناعات والرّسائل.

الكلمات المفتاحية: النّسق، الحمولة، الوظيفة، الفاعليّة.

Abstract:

Most of the modern studies have exceeded the contextual standard horizontal reading of texts to another one more open and dynamic. It is the systemic vertical reading full of questions. These questions are never to be answered only by unveiling what the systems on its variety have implicated.

The systems have a great importance and have become active and dynamic central elements in the process of intellectual communication. In fact they have got a great capacity to formulating ideas and passing messages.

key words: system- load- function- effectiveness.

لقد شكّل البحث عن النّسق هاجس القراءة النّسقيّة المنطلقة في بداياتها من التّصوّرات البنيويّة المؤمنة بانغلاق النّصّ وَثَبَاتِه، غير أنّها أدركت عقمها وعدم جدواها، فقد توصّلت أخيرا إلى طاقته الانفتاحيّة، وبدا أخيرا أنّه نسق مفتوح، ملغّم بالبياضات والفجوات الّتي وجب على المتلقّي ملأها، وهوما أكسب القراءة النّسقيّة حركيّة وفعاليّة رهيبة[1].

يتوجّب علينا ونحن بصدد الحديث عن القراءة النّسقيّة الوقوف على مفهوم دقيق للنّسق.

فما هو النّسق؟ وما هي طبيعته؟

ما الفرق بين النّسق والسّياق؟

1- مفهوم النّسق:

1-1- المفهوم اللّغوي: ورد في لسان العرب قوله: "النَّسَقُ من كلّ شيء ما كان على طريقة نظام واحد، عامّ في الأشياء، ونَسَقَ الشّيء يَنْسُقُهُ نَسْقاً ونَسَّقَهُ، نظّمه على السّواء. ونَاسَقَ بين الأمرين؛ أي تابع بينهما، والتَّنْسِيقُ: التّنظيم، والنَّسَقُ: ما جاء من الكلام على نظام واحد"[2].

[1] عبد الفتّاح أحمد يوسف، القراءة النّسقيّة (سلطة البنية ووهم المحايثة)، منشورات الاختلاف (الجزائر)- الدّار العربيّة للعلوم ناشرون (بيروت)، ط1، 2007م، ص555.

[2] ابن منظور، لسان العرب (مادة ن. س. ق)، ج10، ص 424.

2-1- المفهوم الاصطلاحي: تعدّدت مفاهيم النّسق لذلك سنحاول عرض أكثرها أهميّة ودقّة فيما نعتقد وقَرُبَ من مرادنا:

-يعدّ **دو سوسير De Saussure** أكثر اللّسانيين بحثا في الأنساق وطبيعتها، إذ رأى أنّه على اللّسان في كلّ لحظة من لحظات حياته أن يقدّم نفسه بوصفه نظاما، وقد سمّى **دو سوسير** هذا النّظام الملازم لكلّ لغة بالنّسق **système**.[1]

-كذلك عرّف النّسق بأنّه "**مساق يخضع لقاعدة، ومكوّن من وحدتين أو أكثر من النّمط نفسه**"[2].

يبدو اتّفاق هذه التّعاريف في خاصّية الانتظام والتّآلف الّتي تخضع لها كلّ بنية كلاميّة أو نصّيّة، غير أنّ هذا ليس بالجديد مقارنة مع ما وقف عليه قدماء العرب، لكن المهمّ أنّ الحقيقة هي اقتران النّسق بالنّظام وذلك من خلال عدّ النّظام سمة مميّزة في النّسق.

يحدث في كثير من الأحيان تداخل بين مفهومي النّسق والبنية ممّا يصّعب ضبط مفهومه، إلّا أنّنا نرى النّسق أعمّ وأشمل؛ فهو أساس كلّ بنية مهما تعقّدت واختلفت مضامينها، من خلاله تتكشّف المعاني وتتجدّد القراءات، كلّ ذلك لأنّه

---

[1] أوزوالد ديكرو وجان ماري شيفر، القاموس الموسوعيّ الجديد لعلوم اللّسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثّقافيّ العربيّ (الدّار البيضاء-بيروت)، ط2 2007م، ص38.

[2] جيرالد برانس، المصطلح السّرديّ، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة: محمّد بريري، المجلس الأعلى للثّقافة، مصر، ط1، 2003م، ص228.

المسؤول عن المستوى العميق من البنية، في حين تبقى–البنية– مستوى ظاهريّا يقدّم نفسه طواعية للقراءة النّسقيّة الواعية.

تظهر العلاقة التّكامليّة المنتظمة بين النّسق والبنية؛ فهو دعامتها وهي من تمنحه الكينونة والممارسة الفعّالة، لعلّ تعريف **بارسونس Parsons** للنّسق يدعّم هذا الرّأي، إذ رآه "**نظاما ينطوي على أفراد فاعلين تتحدّد علاقاتهم بمواقفهم وأدوارهم الّتي تنبع من الرّموز المشتركة والمقرّرة ثقافيّا في إطار هذا النّسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النّسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعيّ**"[1].

أيقن **بارسونس** من خلال تعريفه جوهر النّسق النّظاميّ، هذا ما اشترك فيه مع الجميع، غير أنّه تجاوزهم لَمّا ضبط طبيعته الجمعيّة والثّقافيّة فجعل منه نظاما جمعيّا ثقافيّ الرّموز. يبدو طرحه منطقيّا خاصّة إذا عرفنا أنّ هذه الرّموز أو الشّفرات المشكّلة للنّسق تخضع فعلا لتحكّم الثّقافة الّتي تتعلّق بها الجماعة وتتبنّى مرجعياتها الّتي يكشفها النّسق بطريقة مميّزة.

لا تعدّ الأنساق "**صورة الفكر فحسب، بل هي قالب الفكر ومشكلته**"[2]؛ إنّها إذا جوهر الموضوع والكاشف عن حمولته الفكريّة.

---

[1] إيديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصُّباح، الكويت، ط1، 1993م، ص411..

[2] عبد الفتّاح أحمد يوسف، لسانيّات الخطاب وأنساق الثّقافة، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون(بيروت)– منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط1، 2010م، ص137.

مهما يكن المصطلح، نسقا أو بنية فكلاهما يمثّل تنظيما لا تمتلك العناصر فيه أيّة سمة خاصّة بمعزل عن علاقاتها المتبادلة في داخل الكلّ[1].

يظهر من خلال ما سبق خضوع النّسق لمراحل تحوّل وتطوّر متنوّعة بدأت بكونه معطى جاهزا وانتهت بإبراز دور المتلقّي المدرك في بنائه، ويبقى معطى قابلا للتّحوّل مادامت الثّقافة الجمعيّة* كذلك، إذَا كان الفرق بين النّسق والبنية قد حسم فما الفرق بين النّسق والسّياق؟

توصّلنا من خلال قراءاتنا التّقابليّة إلى قناعة تؤمن باتّساع النّسق وتَراه أرحب أفقا من السّياق، ذلك أنّ النّسق يحويه مجال ثقافيّ واسع سعة الأفراد الفاعلين المساهمين فيه، في حين يبقى السّياق محصورا في الحدود الظّاهريّة للنّصّ أو الخطاب، بذلك تظلّ قراءته أفقيّة وسطحيّة لا تتجاوز الصّورة الحرفيّة أو الصّوتيّة على عكس النّسق الّذي تفضي قراءته العموديّة إلى كشف عالم من الرّموز المشحونة بالمعاني والدّلالات والتّساؤلات.

---

[1] أوزوالد ديكرو وجان ماري شيفر، القاموس الموسوعيّ الجديد لعلوم اللّسان، ص38.

* يتواتر ذكر مصطلحات تتوازى مع –الجمعيّة– مثل الاجتماعيّة والمجتمعيّة، غير أنّنا اخترنا مصطلح الجمعيّة لأنّه الأدقّ تعبيرا عن الطّابع الجماعيّ للثّقافة.

بعد هذا العرض لطبيعة النّسق وجوهره، وحدوده الإجرائيّة الّتي تسمح بتداخله مع البنية والسّياق، سنحاول تحديد الشّروط المتحكّمة في خلق الأنساق وعملها، فما هي شروط تكوّن النّسق؟

2- شروط تكوّن النّسق:

طرح الألمانيّ **زيجفريد شميدت Segfred Shmidt** ثلاثة شروط لتحقّق النّسق، وذلك من خلال تبنّيه لمفهوم النّسق كما رصده الباحث الألمانيّ **نيكلاس لومان Niclas Luhmann** الّذي رأى أنّ مفهوم النّسق يتّفق والنّسق الاجتماعيّ، فكانت الشّروط كالآتي:

أ- يجب أن يعبّر عن بنية داخليّة.

ب- يجب أن يكون له حدود قارّة معترف بها من الفاعلين.

ج- يجب أن يكون مقبولا من المجتمع، ويؤدّي خدمة له لا يؤدّيها نسق آخر[1].

يبدو تركيز الباحث على اجتماعيّة النّسق ونحن ننطلق في طرحنا من ثقافيّته، لكن على اعتبار الاجتماعيّة أو الثّقافيّة سمة مميّزة في النّسق وشفرة متحكّمة في سيرورته، يصبح بالإمكان القول أنّهما شفرتان مرجعيّتان بحكم الوظيفة، ويمكن عدّ كلّ ما هو مرجعيّ ثقافيّ في الأصل، لأنّ "**كلّ الشّفرات المعروفة حاليّا تخضع**

[1] أحمد بوحسن، مفهوم النّسق، من سلسلة ندوات ومناظرات رقم 87 (المفاهيم تكوّنها وسيرورتها)، تنسيق: محمّد مفتاح وأحمد بوحسن، منشورات كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط (المغرب)، ط1، 2000م، ص83.

لتحكّم الثّقافة، ولكن تلك الّتي يطلق عليها المرجعيّة أو الشّفرة الثّقافيّة هي الأكثر تعلّقا بالثّقافة بين جميع الشّفرات"[1].

تتّضح ضبابيّة ضبط حقيقة ثقافيّة النّسق عند **شميدت**، ممّا جعله يركّز كلّيا على الجانب الاجتماعيّ، لذلك سنعمد إلى وضع شروط تلائم طرحنا مراعين حقيقة النّسق وطبيعته ووظيفته، والشّروط هي:

أ- أن يكون نظاما داخليّا متكامل الأجزاء.

ب- أن يتمتّع بالمشتركيّة* الثّقافيّة.

ج- أن يعمل على تفسير وتحليل البنى النّصّيّة أو الخطابيّة داخليّا.

ونزعم أنّ هذه الخطوات الثّلاث متكاملة ومنتظمة لانطلاقها من حقيقة النّسق وطبيعته بهدف الوصول إلى غايته ووظيفته المنوطة به، لكن بعد أن أوجدنا النّسق ألا يكون من اللاّئق والموضوعيّ ضمان شروط بقائه واستمراريّته؟

3- شروط استمراريّة الأنساق:

يوجب **بارسونس** صاحب الدّراسات النّسقيّة على كلّ نسق استيفاء أربعة شروط لضمان استمراريّته وهي برأيه كالآتي:

أ- **التّكيّف:** على كلّ نسق التّكيّف مع بيئته وإلّا زال.

---

[1] جيرالد برانس، المصطلح السّرديّ، ص50.

ب- **الهدف:** على كلّ نسق أن يحسن استثمار أدواته الإجرائيّة ليضمن تحقيق أهدافه.

ج- **التّكامل:** النّسق كُلٌّ مكوّن من أجزاء، يساعد انسجامه على تماسكه ووحدته.

د- **التّوازن:** شرط ضروريّ لبقاء النّسق[1].

يفرض الاهتمام بالنّسق ورصد فعاليّته وتمظهره، التّقيّد بشروط بقائه، كيف لا وهومن يفكّ إلغاز الشّفرات، مع ذلك نعتقد أنّ هذه الشّروط غير دقيقة في ترتيبها فالشّرط الثّاني الممثّل في (الهدف) يمتلك احتمالين في ترتيبه ضمن الشّروط فيما نخال، فإمّا يكون آخرها على اعتباره (نتيجة) لجملة من الشّروط الّتي تبدو بدورها مفتقدة للدّقة المنهجيّة، وإمّا يكون أوّلها على اعتباره (سببا) فيما سيترتّب، يمكننا تفسير ذلك عن طريق المعادلتين الآتيتين:

أ- في حالة الهدف (نتيجة) يكون:

-التّكامل.

-التّوازن.

-التّكيّف.

-الهدف.

[1] إيان كريب، النّظريّة الاجتماعيّة من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمّد حسين غلوم، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 244، 1999م، ص74.

ومنه: **التّكامل+ التّوازن+ التّكيّف= الهدف.**

يؤدّي تكامل أجزاء النّسق وانتظامها وتوازنها وتكيّفها مع الدّلالة المعبّر عنها بالضّرورة إلى تحقيق هدفه.

ب- **في حالة الهدف (سبب) يكون:**

-الهدف.

-التّكامل.

-التّوازن.

-التّكيّف.

ومنه: **الهدف= التّكامل+ التّوازن+ التّكيّف.**

يصبح وجود الهدف سببا في تكامل وتوازن، وتكيّف النّسق.

تحيلنا إشكاليّة ترتيب **الهدف** إلى الحديث عن وظيفة النّسق الّذي حظي منذ نشأته باهتمام بالغ؛ فهو أساس كلّ عمل إبداعيّ، وله أبعاد وظيفيّة يمكن جمعها في:

أ-النّسق لا يحيل إلى الواقع المَعِيش بل يعمل على تشييد أفكار تحلّق فوق المَعِيش بفضل صفته الجمعيّة المرتكزة على ثقافة مشتركيّة من شأنها إثراء الأفكار[1].

[1] عبد الفتّاح أحمد يوسف، لسانيّات الخطاب وأنساق الثّقافة، ص137.

ب–للأنساق قيمة فكريّة ثقافيّة وأخرى جماليّة لا تنكر؛ فهي تمثّل عنصرا مركزيّا وفاعلا في عمليّة التّواصل الفكريّ

على اختلافه داخل المجتمع[1].

ج–للأنساق قدرة رهيبة على صياغة الأفكار ونقل القضايا الّتي تحتوي على إشكالات معرفيّة وثقافيّة شائكة[2].

د–تمنح الأنساق المتلقّي صفة المبدع الثّاني للعمل وذلك من خلال إشراكه في عمليّة الحفر عن المعنى والوقوف على المقصديّة الخاصّة بالمبدع الأصليّ، وهوما يوسّع مداركه وآفاقه التّأويليّة الّتي تجعله ينتج دلالات متجدّدة ولا متناهية للنّسق الواحد، وتبقى وظائف النّسق متعدّدة بتعدّد الأنساق داخل البنية النّصّيّة، **فهل من الضّروري احتواء النّصّ على أكثر من نسق، وما هو دور هذه الأنساق في البنيّة الواحدة؟**

4–أنواع الأنساق:

واكب مفهوم تعدّد الأنساق منذ السّتّينيّات الدّراسات البنيويّة والنّسقيّة بمختلف اتّجاهاتها، ويبدوأن هذا المفهوم تولّد عن مفهوم النّسق في الأساس[3].

---

[1] عبد الفتّاح أحمد يوسف، لسانيّات الخطاب وأنساق الثّقافة، ص140.

[2] المرجع نفسه، ص145.

[3] أحمد بوحسن، مفهوم النّسق، من سلسلة ندوات ومناظرات رقم 87 (المفاهيم تكوّنها وسيرورتها)، تنسيق: محمّد مفتاح وأحمد بوحسن، ص78.

يمكن التّركيز على تصنيفين للأنساق: الأوّل خارجيّ (عامّ) والآخر داخليّ (خاصّ). يُعنَى التّصنيف الخارجيّ بالتّقسيمات العامّة، ويسلّط الدّاخليّ الضّوء على التّقسيمات الفرعيّة الخاصّة الّتي يمكن أن تشكّل النّسق الواحد.

4-1- النّسق الخارجيّ (العامّ): تؤكّد العديد من الدّراسات وجود أنماط مختلفة للأنساق من مثل: النّسق الاجتماعيّ- نسق المعرفة- النّسق البنائيّ- نسق الفِعْل، والنّسق الأدبيّ الّذي هو "**نموذج نظريّ لأدب معيّن يتألّف من أجزاء مترابطة**"[1].

يُظهر هذا التّعريف احتواء النّسق الأدبيّ العامّ على أجزاء متكاملة ومتآلفة فيما بينها، والكاشف عن نوعها هو حمولتها الفكريّة.

تتضمّن مختلف البنى النّصّيّة أنساقا رمزيّة تنتظر القراءة بقصد تأويلها، ولعلّ أوّل ما يلفت في القراءة هو الحمولة الفكريّة الّتي تحويها البنية، إذ غالبا ما تستند على ذخيرة ثقافيّة تمنح النّسق الثّقافيّ الصّدارة.

أ-النّسق الثّقافيّ:

يرتكز النّسق الثّقافيّ في بنائه على المكوّن الثّقافيّ بالدّرجة الأولى، ويتميّز بطابعه الجمعيّ الخاضع لِبنية اجتماعيّة ذات طقوس وشعائر جمعيّة[2].

---

[2] سمير سعيد حجازي، معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2005، ص 269.

[2] عبد الفتّاح أحمد يوسف، لسانيّات الخطاب وأنساق الثّقافة، ص147.

يَظهر الطّابع الجمعيّ التّواصليّ المنظّم للثّقافة الّتي تحوي تنظيما إشاريّا ثانويّا يبرز من خلال اللّغة الّتي تعدّ نظاما أوليّا ينتظر دوما من يكشف دلالته ويجدّدها، بهذا تغدو الثّقافة "**آليّة مولّدة، ليست مجموعة من النّصوص في وضع فوضويّ أوغير مرتّب، وإنّما هي ترميز، وتنظيم ونمذجة. فالثّقافة لا تعيّن إلاّ من خلال هذه العلامات والتّدليل، وهي تتعامل إذن بوصفها نظام نمذجة ثانويّ، تقع اللّغة الطّبيعيّة –النّظام الأوليّ– في مركزه المحوريّ، وفي محيطه تقع أنظمة ذات طبيعة أنثروبولوجيّة، وفلسفيّة، وأخلاقيّة، وأدبيّة، وغيرها وهي أيضا أبنية تعمل في أوضاع ذات دلالة اتّصاليّة**"[1].

ويؤدّي انفتاح النّسق على مكوّن (الثّقافة– اللّغة) إلى تأسيس نظام من العلاقات المرجعيّة الخاصّة، والاحتمالات الإشاريّة اللاّنهائيّة الّتي تسمح له بممارسة فعاليّته في البنية النّصّيّة بوصفه نظاما علائقيّا فوقيّا متعاليا محمّلا بمرجعيّات ثقافيّة وإيديولوجيّة، وأطر معرفيّة جمعيّة تسهّل على فكّ شفرته وبالتّالي الوصول إلى دلالته[2].

تظهر أهميّة المكوّن الثّقافيّ الّذي يعدّ أهمّ مرتكز وتنظيم إشاريّ بإمكانه صياغة الواقع والتّعبير عن قضاياه في نظام قولبة ونمذجة مخالف للأوّل، ويتطلّب فكّ

---

[1] خوسيه ماريا بوثويلو إيفانوكس، نظريّة اللّغة الأدبيّة، ترجمة: حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، مصر، 1991م، ص85.

[2] يوسف عليمات، جماليّات التّحليل الثّقافيّ–الشّعر الجاهليّ نموذجا، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر (بيروت)– دار الفارس للنّشر والتّوزيع (عمّان)، ط1، 2004م، ص42.

شفرة النّسق الآخر (الجماليّ) المتّصف بالشّمول المعرفيّ متلقيّا مدركا عالي الكفاءة.

ب- **إلنّسق الجماليّ:** يضطرنا الحديث عن النّسق الجماليّ إلى الوقوف عند فنّيّة العمل الأدبيّ الّذي نرى أنّ "**روعة بنائه المعقّد يمكن أن يكون لها تأثير رفيع في النّفس المتذوّقة للفنّ**"[1].

يؤكّد الاحتكام إلى هذا القول على أهميّة النّسق الجماليّ المزدوجة، إذ يعكس قدرة المبدع التّصويريّة والفنّية، كما يمنح المتلقّي متعة جماليّة تظهر معالمها مع بداية تشكّل العمل الفنّيّ نفسه، هذا ما أكّده **رومان إنغاردن Roman Angardn** بقوله: "**لا يكون العمل الأدبيّ الموضوع الجماليّ بالمعنى الصّحيح إلاّ عندما يصل إلى الظّهور عن طريق تجسيده**"[2].

يبدوأن كلّ عمل فنّيّ تجسّد من خلال اللّغة ينطوي على حقيقة جماليّة تعكسها الصّياغة الفنّيّة للمبدع، إذ تعدّ حقيقة ثانويّة تضاف إلى الحقيقة الأوّليّة وتدعمها، هذا ما أقرّه **هيدجر Heidegger** بقوله: "**العمل الفنّيّ هو بداية إنشاء حقيقة جماليّة تجعل النّصّ الفنّيّ آية مضافة إلى آيات الطّبيعة**"[3].

---

[1] جمهورية أفلاطون، ترجمة ودراسة: فؤاد زكريّا، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، مصر، 2003م، ص163.

[2] رومان إينغاردن، العمل الفنّيّ الأدبيّ، ترجمة: أبو العيد دودو، دار الأمّة للطّباعة والنّشر، الجزائر، ط1، 2008م، ص467.

[3] عفيف البهنسي، علم الجمال وقراءات النّصّ الفنّيّ، دار الشّرق للنّشر، دمشق، ط1، ص16.

يصبح النّسق الجماليّ علامة دالّة على ما هو موجود في الواقع؛ إنّه تجلٍّ فنّيّ للثّقافيّ المحمّل بمختلف المفاهيم والأفكار في صورة مخالفة، ومنه يمكن عدّ النّسق الثّقافيّ علامة تحتاج إلى تأويل في النّسق الجماليّ.

يرى **تيري إيجلتون Terry Eagleton** أنّ البنى النّصّيّة تنطوي على أنظمة إيديولوجيّة تتمظهر من خلال اللّغة العاديّة والرّمز والعديد من الصّيغ الأخرى، الّتي أهمّها القناع الجماليّ الّذي تمرّر من خلاله عديد الرّسائل والأفكار[1].

ويشير أيضا إلى أنّ الفاعليّة والقدرة الّتي يمتلكها الحقل الجماليّ عامّة هي الّتي تخوّله ليبدو طبيعيّا وبريئا إيديولوجيّا على رغم خطورة شفراته، وهوما تعجز عن التّمتّع به حقول وأنساق أخرى[2].

يظهر بهذا الطّابع المرن للنّسق الجماليّ، فقد يكشف ما لا يُضمر من خلال اللّعب على الألفاظ الّذي قد يتحوّل إلى اللّعب بالمعاني الكلّيّة، ولِمَا لا اللّعب بالمنطق ذاته[3].

---

[1] تيري إيجلتون، النّقد والإيديولوجيا، ترجمة: فخري صالح، المجلس الأعلى للثّقافة (المشروع القوميّ للتّرجمة)، القاهرة، ط1، 2005م، ص112.

[2] تيري إيجلتون، النّقد والإيديولوجيا، ترجمة: فخري صالح، المجلس الأعلى للثّقافة (المشروع القوميّ للتّرجمة)، القاهرة، ط1، 2005م، ص38.

[3] أحمد حيدر، الجماليّة والميتافيزيقا، دار الحوار للنشر والتّوزيع، سورية، ط1، 2004م، ص23.

وعليه يبقى الجمال في الأصل "**كلّ ما اتّسم بالتّناسق والانسجام والتّوافق والنّظام، بحيث ينمُّ عن معنى ويكون له مغزى معيّن**"[1].

تتمتّع القراءة الجماليّة بوظيفة نقديّة صعبة قد تبدو ساذجة إذا ما احتكمت إلى ذائقة فطريّة، لكنّها تصبح تعسّفيّة إذا احتكمت لمعرفة أكاديميّة مؤسَّسة، كما بإمكان هذه القراءة تحديد ماهيّة العمل[2].

إذا كانت القراءة الجماليّة من اختصاص المتلقّي، فإنّ حسن التّحكّم في النّسق الجماليّ وتجسيده من اختصاص المبدع الّذي إذا ما أحسنه استطاع صياغة أفكاره الثّقافيّة، وبذلك تظهر الصّلة الحميميّة بين النّسقين الثّقافيّ والجماليّ، فالثّقافيّ حمولة للجماليّ والجماليّ قناع مؤَسَّس على الثّقافيّ، فيما يصبح المعنى مشتركيّة يفرزها التّكامل المنظّم للثّقافيّ والجماليّ، وفي هذه الحالة يمكننا التّأكيد على أنّ:

أ- ما يعكسه النّسق الجماليّ معنى ثقافيّ يقع بالضّرورة خارج نطاق النّسق الجماليّ.

ب- النّسق الجماليّ يؤكّد على الصّلة الحميمة بين المؤلّف (المبدع) والثّقافة، بالتّالي يعكس ذخيرته الثّقافيّة.

---

[1] عليّ عبد المعطي محمّد، جماليات الفنّ (المناهج والمذاهب والنّظريّات)، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، 1998م، ص22.

[2] عفيف البهنسي، علم الجمال وقراءات النّصّ الفنّيّ، ص17.

ج- النّسق الجماليّ علامة مؤكّدة على ما جاء به النّسق الثّقافيّ[1].

يبدأ النّسق الثّقافيّ في تجسيد لغويّ، ثمّ يتطوّر بفعل جهد المبدع ليتحوّل إلى نسق آخر يعكسه عالم سحريّ وجماليّ مفعم بالصّور الفنّيّة والتّخييليّة الّتي تسهّل على المتلقّي فهم النّظم الثّقافيّة الّتي حواها النّسق الثّقافيّ والتّمتع بها.

الخاتمة:

سرنا شوطا بقدر ما نستطيع ووصلنا إلى بعض النّتائج منها:

1- تحتوي كلّ بنية نصّيّة على نظام نسقيّ ذي طبيعة ثقافيّة جمعيّة، وبفضل جهود الباحثين في الدّراسات النّسقيّة ضبطت هذه الأنساق بشروط تضمن لها البقاء وتسهّل عليها تحقيق أهدافها.

2- تتمتّع الأنساق بأهميّة كبيرة جعلت منها عناصر مركزيّة فاعلة وحركيّة في عمليّة التّواصل الفكريّ، إذ لها قدرة رهيبة على صياغة الأفكار وتمرير القناعات والرّسائل.

3- أدّى ظهور مفهوم النّسق إلى طرح مسألة تعدّده، فظهرت أنساق متعدّدة تعدّد حمولتها لعلّ أهمّها النّسقان الثّقافيّ والجماليّ اللّذان شكّل تفاعلهما صرحا من التّلاقح الّذي أفرز معنى مشتركا بفضل التّكامل المنظّم بين الثّقافيّ والجماليّ.

---

[1] عبد الفتّاح أحمد يوسف، لسانيّات الخطاب وأنساق الثّقافة، ص162-163.

5- ساهمت حركيّة النّسق في فكّ شفرات البنى النّصّيّة، وقد كان للمتلقّي المدرِك فضل في كشفها والحفر في دلالاتها المتجدّدة والمنفتحة من خلال محاولته الوصول إلى مقصديّة المبدع، بهذا حقّ للنّسق أن يكون قالب الفكر ومادّته، ومشكلاته المتجلّية في قالب آخر.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد بوحسن، مفهوم النسق، من سلسلة ندوات ومناظرات رقم 87 (المفاهيم تكونها وسيرورتها)، تنسيق: محمّد مفتاح وأحمد بوحسن، منشورات كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط (المغرب)، ط1، 2000م.

2- أحمد حيدر، الجمالية والميتافيزيقا، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، سوريّة، ط1، 2004م.

3- إيديث كريزويل، عصر البنيويّة، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصّباح، الكويت، ط1، 1993م.

4- أوزوالد ديكرو وجان ماري شيفر، القاموس الموسوعيّ الجديد لعلوم اللّسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثّقافيّ العربيّ (الدّار البيضاء- بيروت)، ط2،2007م.

5- إيان كريب، النّظريّة الاجتماعيّة من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمّد حسين غلّوم، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 244، 1999م.

6- تيري إيجلتون، النّقد والإيديولوجيا، ترجمة: فخري صالح، المجلس الأعلى للثّقافة (المشروع القوميّ للتّرجمة)، القاهرة، ط1، 2005م.

7- جيرالد برانس، المصطلح السّرديّ، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة: محمّد بريري، المجلس الأعلى للثّقافة، مصر، ط1، 2003م.

8- خوسيه ماريا بوثويلو إيفانوكس، نظريّة اللّغة الأدبيّة، ترجمة: حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، مصر، 1991م.

9- رومان إنغاردن، العمل الفنّيّ الأدبيّ، ترجمة: أبو العيد دودو، دار الأمّة للطّباعة والنّشر، الجزائر، ط1، 2008م.

10- سمير سعيد حجازي، معجم المصطلحات الحديثة في علم النّفس والاجتماع ونظريّة المعرفة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2005م.

11- عبد الفتّاح أحمد يوسف، القراءة النّسقيّة (سلطة البنية ووهم المحايثة)، منشورات الاختلاف (الجزائر)/ الدار العربيّة للعلوم ناشرون (بيروت)، ط1، 2007م.

12- عفيف البهنسي، علم الجمال وقراءات النّصّ الفنّيّ، دار الشّرق للنّشر، دمشق، ط.1

13- علي عبد المعطي محمّد، جماليّات الفنّ (المناهج والمذاهب والنّظريّات)، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، 1998م.

14- جمهورية أفلاطون، ترجمة ودراسة: فؤاد زكريّا، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، مصر، 2003م.

15- ابن منظور، لسان العرب (مادّة ن. س. ق)، ج10.

16- ميجان الرّويلي وسعد البازعي، دليل النّاقد الأدبيّ، المركز الثّقافيّ العربيّ (الدّار البيضاء-بيروت)، ط3، 2002م.

17- يوسف عليمات، جماليّات التّحليل الثّقافيّ-الشّعر الجاهليّ نموذجا، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر (بيروت)/ دار الفارس للنّشر والتّوزيع (عمّان)، ط1، 2004م.